

عداء.. وافتراءات لها تاريخ

لهذا كله .. جاءت محاضرة بابا الفاتيكان -بنديكطوس السادس عشر- فى جامعة «ريجنسبورج» -الألمانية- فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م - والتى فجرت الغضب الإسلامى- جاءت -هذه المحاضرة- فى سياق من الحقائق والوقائع -التاريخية.. والمعاصرة- يغفل عنها الكثيرون.. كما جاءت صادمة للمشاعر الإسلامية؛ بسبب حديثها.. ولما حوته من الأكاذيب والمغالطات والجهالات، التى لا يتصور صدورها من «أستاذ للفلسفة» يتولى منصب الحبر الأعظم لحاضرة الكاثوليكية بالفاتيكان.. عندما يتحدث عن دين -كالإسلام- يتدين به أكثر من مليار ونصف المليار من المسلمين.

● لقد كان موضوع محاضرة البابا عن «علاقة العقل بالإيمان» فى المسيحية.. لكن الغريب - بل والعجيب والمريب - أن الرجل قد بدأ محاضرته بالهجوم على الإسلام!.. بل ولقد استغرق هذا الهجوم على الإسلام ربع هذه المحاضرة!! -مائة سطر من أربعمئة سطر، هى جملة سطور النص الكامل للمحاضرة-!!^(١).

(١) لقد اعتمدنا فى تحليل هذه المحاضرة ونقدها على النص الأصيل والكامل الذى نشرت ترجمته العربية صحيفة غير متهمة، هى [وطنى] -المسيحية- انظر عدد ٢٤/٩/٢٠٠٦م.

● وكان أخطر ما فى هذه المحاضرة، ليس اقتباس البابا من الإمبراطور البيزنطى «مانويل الثانى» [١٣٩١ - ١٤٢٥م] - كما حسب كثير من المعلقين- وإنما تعليقات البابا على الاقتباس!.

لقد استشهد البابا بكلمات الإمبراطور البيزنطى - فى معرض ربط الجهاد الإسلامى «بالحرب المقدسة المسيحية». وأورد الكلمات التى قال فيها هذا الإمبراطور لأحد المثقفين الفرس المسلمين:

«أرنى ما الذى أتى به محمد من جديد؟! فهنا ستجدون أشياء شريفة وغير إنسانية، مثل أمره بنشر العقيدة التى دعا إليها بحد السيف».

ولقد وصف البابا الإمبراطور «مانويل الثانى» بالموسوعى!.. وأغفل ذكر رد المثقف الفارسى المسلم على هذا الإمبراطور!.. ثم مضى -معلقًا.. ومؤيدًا- فقال:

«لا بد أن الإمبراطور كان يعرف أن السورة ٢ آية ٢٥٦ تنص على أنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. وهى إحدى سور العصور الأولى من تاريخ الإسلام، عندما كان محمد لا يزال مهددًا، وتعوزه القوة.

ولكن من الطبيعى كذلك -بالنسبة للإمبراطور- أن يكون قد عرف التعليمات «أوامر اللثام» بشأن الحرب المقدسة، والتى ذكرت لاحقًا ودونت فى القرآن».

● وفى إطار كلام البابا عن علاقة العقل بالإيمان -فى المسيحية والإسلام- قال:

«إن القول الفصل في النقاش حول التحول العقائدي باستخدام العنف، هو أن عدم التصرف وفقاً للعقل هو أمر مناهض لطبيعة الرب.

ولكن بالنسبة للتعاليم الإسلامية فإن الرب مطلق السمو، فمشيئته لا تتماشى مع أى من خصائصنا بما فيها العقلانية.. ولقد ذهب ابن حزم إلى حد الإقرار بأن الرب الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة، وأنه ما من شيء يلزمه بكشف الحقيقة لنا.

ففيما يتعلق بإرادة الله، فإنه ينبغي علينا التعبد بشكل وثنى أعمى!!

كانت تلك هي أبرز نقاط المغالطات والافتراءات التي وردت عن الإسلام في محاضرة بابا الفاتيكان.. والتي إن أثارت الغضب في جماهير الأمة الإسلامية.. فإنها تستوجب النظر العلمي الموضوعي والهادئ والصبور في الحوار مع «أستاذ الفلسفة»، عظيم الفاتيكان.

وإذا كانت مجلة «نيوزويك» -الأمريكية- قد استكرت ما جاء بمحاضرة البابا عن الإسلام.. وجعلت عنوان غلافها -عدد ١٦/٩/٢٠٠٦م-: «بندكتوس السادس عشر.. ماذا دهاه؟!». ثم وصفت طريقته -في هذا التناول للإسلام- بأنها «طريقة خرقاء»!!.. فإننا نختلف معها في هذا التوصيف.. فالأمر ليس مجرد حماقة.. وإنما هو موقف له تاريخ طويل من العداء للإسلام!!..

إنه فصل جديد -ولن يكون الأخير- في فصول العداء للإسلام،

والافتراء على مقدساته ورموزه وأمته وحضارته . . يأتي بعد عام من أحداث الرسوم الداعمية، التي أساءت إلى رسول الإسلام ﷺ . . ومن؟ . . من عظيم الفاتيكان . . وليس من صحفى داعمكى نشر رسومه فى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥ م.

● لقد تحدث البابا - بنديكتوس السادس عشر- فى هذه المحاضرة . . فأساء إلى إله المسلمين ورب العالمين، عندما ادعى أن المشيئة الإلهية - فى الإيمان الإسلامى- متسامية ومطلقة، لا تتقيد بالعقل ولا بالمنطق . . الأمر الذى يجعل الإيمان الإسلامى - برأى البابا - إيماناً وثنيّاً أعمى!!

● وعندما أراد الحديث عن رسول الإسلام ﷺ اختار - واختيار المرء قطعة من عقله - عبارات الإمبراطور البيزنطى «مانويل الثانى» [١٣٩١م - ١٤٢٥م] التى تفتري على رسول الإسلام، فتزعم أنه لم يأت إلا بما هو شرير وسيئ ولا إنسانى . . ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف!!

● وانطلاقاً من ذلك قارن البابا بين مسيحيته وبين الإسلام . . فادعى عقلانية المسيحية ولا عقلانية الإسلام! . .

● كما اتهم الإسلام بالتأسيس للعنف والإرهاب - واتهم المسلمين بهما . .

● كما خلط بين الجهاد الإسلامى وبين الحرب الدينية المقدسة - التى عرفتھا ومارستها الكنيسة الكاثوليكية الغربية . .

ورغم الدهشة والغضب اللذين يشعر بهما، لا المسلمون وحدهم، بل والمنصفون من غير المسلمين، الذين عرفوا الإسلام.. بل وحتى المحايدون الذين يفترضون ضرورة الأدب والكمياسة فى الحديث عن الديانات.. رغم كل ذلك، فإن الموضوعية يجب أن تكون المعيار الأول فى الرد على هذه الإساءات والمغالطات..

إن الغضب لله ولرسوله ولدينه أمر مشروع.. بل ومطلوب.. لكن الإسلام يعلمنا أن يمين الغاضب لا تتعقد، وأن قضاء الغاضب لا يجوز؛ لأن الغضب قطعة من الجنون.. ومن ثم فإن العقلانية والموضوعية هى التى يجب أن تحكم الرد على هذه الإساءات.. وتحكم الحوار مع عظيم الفاتيكان.

● وفى البداية.. ولتبيد الاستغراب والاندهاش اللذين أصابا الكثيرين من هذا الذى صنعه الحبر الأعظم للكاتوليكية، المتربع على عرش بابوية الفاتيكان.. أقول: إنه لا غرابة فى حدوث هذا الأمر الغريب؟!..

فهذا الرجل - الذى تولى البابوية فى إبريل ٢٠٠٥م، قد شغل - فى الفاتيكان- لأكثر من ربع قرن- من ١٩٨١م حتى ٢٠٠٥م - منصب المسئول الأول عن «النقاء العقائدى»، أى قيادة «الأصولية الأرثوذكسية الكاثوليكية»، التى تقسم العالم إلى مؤمنين كاثوليك حقيقيين. وإلى من يعتنقون «بعض عناصر الإيمان».. أى أنه - بالمعنى الشائع فى الشرق - كان يتولى زعامة ومسئولية «التكفيريين»، فى الإطار

الكاثوليكي!.. الأمر الذى يرسم صورته وصورة مواقفه ضد الآخرين من غير الكاثوليك!.. ويرسم صورة مؤسسته فى هذه المرحلة من التاريخ..

- وهو من هذا المنطلق «الأصولى - التكفيرى» عدو لدود للعلمانية، التى جعلت أكبر البلاد الكاثوليكية فى أوروبا- فرنسا- لا يذهب فيها إلى القديس سوى ٥٪ من السكان الكاثوليك!.. أى أن تعداد الكاثوليك الفرنسيين- بمقاييس هذا البابا- هم أقل من تعداد نصف المسلمين الفرنسيين!..

• وهذا المنصب الذى تولاه لأكثر من ربع قرن- قبل توليه البابوية- منصب «المفتش الأكبر»- رئيس مجمع عقيدة الإيمان -هو- فى الكنيسة الكاثوليكية- الامتداد المعاصرة «لحاكم التفتيش»، التى احترفت- فى العصور الوسطى الأوروبية- التفتيش عن العقائد، وممارسة الحرق والخنق والإغراق ضد العلماء والمفكرين والفلاسفة والمخالفين.. وضد المسلمين بعد إسقاط غرناطة واقتلاع الإسلام من الأندلس ١٤٩٢م.. والتى مارست إعدام هؤلاء المخالفين على «الخازوق المقدس» لمدة ثلاثة قرون!.. والتى بلغ ضحاياها عدة ملايين..

• بل إن اختيار هذا الرجل - واسمه قبل البابوية «جوزيف راتزينجر»- لاسمه البابوى- بنديكتوس السادس عشر -له- كما أسلفنا- معنى وثيق الصلة بهذا التوجه «الأصولى - التكفيرى» فى الموقف من الآخرين.. فالبابا بنديكتوس الرابع عشر [١٧٤٠-

١٧٥٨م]- في القرن الثامن عشر- كان عدوا للعقلانية ولمنهج الشك
الذين قامت عليهما حركة التنوير الأوروبية. . وقبل ذلك - في القرن
السادس- كان القديس البابا بنديكت الخامس [٤٨٠-٥٤٧م] هو
مؤسس الأديرة والرهبانية التي ساعدت على بقاء الحضارة المسيحية في
أوروبا. . وهو واضع دستور الرهبانية المتبع حتى الآن في الحضارة
الغربية. .

فحتى الاسم -بندكتوس- الذي اختاره هذا البابا- له توجهات
أصولية- بالمعنى الغربى- وله دلالات. . وله تاريخ! . .^(١).

• وفيما يتعلق بما جاء من الإساءات للإسلام -في محاضراته بجامعة
"ريجنسبورج" في مدينة "رايتسبون" الألمانية- في ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م
-فإن هذا لم يكن- كما أسلفنا- بداية إساءاته إلى الإسلام. .

- فالرجل له تاريخ في «الخوف والتخويف» من الإسلام -ذلك
الذى أصبح اتجاهاً في الغرب يسمونه «الإسلام فوبيا Islamphobia». .
ففى حوار بينه وبين السياسى الإيطالى البارز «مار سيلو بير»- نشر فى
كتاب عنوانه: [بلا جذور: الغرب، النسيية، الإسلام والمسيحية]^(٢) يعلن
هذا البابا أنه تسيطر عليه مخاوف ثلاثة:

أولها: الانقراض السكانى للأوروبيين المسيحيين- بسبب العلمنة التى
أشاعت الأنانية وتفكك الأسرة، فانخفضت الخصوبة والمواليد- أحياناً إلى

(١) نيوزويك -الأمريكية- عدد ٣-٥-٢٠٠٥م.

(٢) انظر: صورة غلاف هذا الكتاب فى ملحق الوثائق ص ١٦٦.

أقل من ١٪ - «ذلك أن معدلات المواليد فى غالبية الدول الأوروبية تراجعت، الشيء الذى أثر على استمرار التوازن السكانى.. وجعل عدة شعوب أوروبية، خصوصاً الألمان والإيطاليين والإسبانيين، ربما لا تعود موجودة قبل نهاية القرن الحالى» أو فى - أحسن الأحوال والتكهنات - تصبح - هذه الشعوب - أقليات داخل دولها.

وثانى هذه المخاوف البابوية هو: «أن المكان الذى تتركه الأجيال الأوروبية الجديدة شاغراً يملؤه المهاجرون المسلمون، خصوصاً من إفريقيا والعالم العربى.. الأمر الذى يفتح الباب لاحتمال أن تصبح أوروبا مستقبلاً جزءاً من دار الإسلام»!!..

وثالث هذه المخاوف البابوية هو: «تراجع المسيحية من الفضاء الأوروبى.. فبسبب العلمانية «أصبحت مسيحية غالبية الأوروبيين تقتصر على انتماء الأسرة التقليدية للمسيحية» - أي مسيحيون بحكم النسب والتاريخ!! - الأمر الذى أدى - برأى البابا - إلى «افتقار أوروبا القدرة والرغبة والشجاعة الأخلاقية فى القتال من أجل أي شيء، حتى حريتها»!!^(١).

هكذا ينظر البابا - بنديكتوس السادس عشر - إلى الإسلام، فيراه الوارث لمسيحيته وكنيسته.. الذى سيجعل أوروبا - وهى قلب العالم المسيحى - قبل نهاية هذا القرن - «جزءاً من دار الإسلام» - كما سبق

(١) انظر عرض هذا الكتاب فى الملحق الثقافى لصحيفة [الشرق الأوسط] - «متندى الكتب» عدد ٢٦-٤-٢٠٠٦م. وانظر صورة الغلاف فى ملحق الوثائق صفحة ١٦٦ من هذا الكتاب.

وجعل الشرق- الذى كان قلب العالم المسيحى- قلباً لعالم الإسلام!!..
ولقد انعكس هذا الخوف البابوى من الإسلام فى صور تعلن عداؤه
لهذا الدين، وافتراء عليه، وإساءته لعقائده ورموزه ومقدساته- حتى
قبل هذه المحاضرة التى فجرت غضب المسلمين-.. فالإسلام، الذى
يبلغ القمة فى التنزية للذات الإلهية عن التعدد والحلول والاتحاد
والتجسيم والتشبيه.. والذروة فى التوحيد الخالص لهذه الذات الإلهية:
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
[الشورى: ١١].. و«كل ما خطر على بالك فالله ليس كذلك».

هذا الإسلام، الذى تلخصه كلمة التوحيد، وتعبّر عن شعاره شهادة أن
لا إله إلا الله. يقول عنه البابا: «إنه ليس دين توحيد على غط اليهودية
المسيحية، لا ينتمى إلى الوحى نفسه الذى تنتمى إليه اليهودية والمسيحية»!!^(١).
فالتوحيد- برأى البابا- موجود فى اليهودية، التى جعلت الله خاصا
ببنى إسرائيل، وللشعوب الأخرى آلهتها!.. وموجود فى المسيحية-
التي تقول بالتثليث.. وتعبد عيسى ابن مريم- باعتباره الرب- وتقول
عنه: إنه «الألف والياء، والبداية والنهاية»، القادر على كل شيء..
خالق كل شيء، وبه كان كل شيء.. وبدونه لم يكن شيء مما
كان!!- [يوحنا: ١: ٣، ١١].

(١) هنرى تنك [لوموند]-الفرنسية- فى ١٨-٤-٢٠٠٦م- والنقل عن: دكتور عمار الطالبي
[البصائر]- الجزائرية- فى ١٠-١٧ يوليو ٢٠٠٦م.

أما الإسلام، الذى يجعل الواحدة والأحادية فقط للذات الإلهية، وينزعه عن المثل والنسب والنسب والشبه والصاحبة والوالد والولد.. فهو-بنظر البابا بنديكتوس- ليس دين توحيد!!..

● وإذا كان الكاردينال «جوزيف راتزينجر» قد اتخذ لنفسه اسمًا بابويًا ينم عن التوجهات المحافظة والأصولية -بالمعنى المسيحى الغربى- فإن عداؤه هذا للإسلام.. وإعلانه السافر لهذا العدا.. واتخاذ هذا العدا صور الإساءة والتهم.. هو الآخر له تاريخ.. بل وتاريخ طويل ملئ بثقافة الكراهية السوداء للإسلام والمسلمين..

- ففى تراثه الكاثوليكى، يقول أبرز قديسى وفلاسفة الكاثوليكية - فى العصور الأوربية الوسطى - «توما الأكوينى» [١٢٢٥-١٢٧٤م] عن رسول الإسلام ﷺ:

«لقد أغوى محمد الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية.. وحرّف جميع الأدلة الواردة فى التوراة والأنجيل من خلال الأساطير والخرافات التى كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون فى البادية»^(١).

- وفى التراث الفنى والأدبى الكاثوليكى الأوروبى- تراث بابا الفاتيكان- وضع «دانتي» [١٢٩٥-١٣٢١م]- صاحب «الكوميديا الإلهية»- رسول الإسلام ﷺ وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: «فى

(١) هوبرت هيركوفر، جيرنوت روتر [صورة الإسلام فى التراث الغربى] ص ٣٢، ٣٣. ترجمة: ثابت عيد- طبعة القاهرة- نهضة مصر ١٩٩٩م.

الحفرة التاسعة، فى ثامن حلقة من حلقات جنهم؛ لأنهم - بنظر دانتي - من أهل الشجار والنفاق، الذين تقطعت أجسادهم فى سعيهم الكوميديا الإلهية»^(١).

- وفى تراث البابا - الذى يتهم الإسلام بأنه ليس دين توحيد- تزعم «ملحمة رولاند» -الشعبية- التى نظمت حوالى ١٣٠٠م- أن المسلمين يعبدون ثالث:

١- أبولين-Apollin.

٢- وتيرفاجانت-Tervagant.

٣- ومحمد-Mohamed^(٢).

● وبشهادات علماء الغرب، الذين قارنوا بين حقيقة الإسلام وبين الصورة البائسة والكرهية والشوواء التى صنعتها المسيحية الغربية لهذا الإسلام.. فإن الخيال الغربى المسيحى المريض قد أطلق لنفسه العنان فى تشويه صورة الإسلام- ليشحن العامة والغوغاء فى الحروب الصليبية التى شنتها الكنيسة الغربية لإعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامى-..

يشهد على هذه الحقيقة المستشرق الفرنسى «مكسيم رودنسون»
[١٩١٥-٢٠٠٤م] فىقول:

(١) هوبرت هيركومر، جيرنوت روتر [صورة الإسلام فى التراث الغربى] ص٢٤.

(٢) المرجع السابق: ص٢٥، ٢٦.

«لقد حدث أن الكتاب اللاتين، الذين أخذوا بين ١٠٠٠م و١١٤٠م على عاتقهم إشباع حاجة الإنسان العامي، يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد، دون أى اعتبار للدقة، فأطلقوا العنان «لجهل الخيال المنتصر»- كما جاء في كلمات «ر. وساوترن»- فكان محمد (فى عرفهم): ساحراً، هدم الكنيسة فى إفريقيا والشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية.. وكان محمد (فى عرف تلك الملاحم)- هو صنمهم الرئيسى، وكان معظم الشعراء الجواله يعتبرونه كبير آلهة السراسنة- [البدو]- وكانت تماثيله (حسب أقوالهم) تصنع من مواد غنية، وذات أحجام هائلة»^(١).

وبشهادة المستشرق الإيطالى «فرانشسكو جابريلى» [١٩٠٤- ١٩٩٧م]:
«فلقد كانت العصور الوسطى الغربية تنظر إلى ظهور الإسلام وانتشاره باعتباره تمزقاً شيطانياً فى صدر الكنيسة المسيحية، وانشقاقاً مشؤماً قام به شعب بربرى»^(٢).

وبشهادة المفكر الألمانى «هوبرت هيركومر»- فى دراسته عن [صورة الإسلام فى الأدب الوسيط]:

(١) مكسيم رودنسون [الصورة العربية والدراسات العربية الإسلامية] بحث منشور بكتاب [تراث الإسلام]- بإشراف «شاخت» و«بوزورت» القسم الأول ص ٢٧، ٢٨. ترجمة: دكتور محمد زهير السمهورى. مراجعة: دكتور شاكى مصطفى. طبعة الكويت ١٩٧٨م. وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] طبعة القاهرة ٢٠٠٤، ص ٦٤.
(٢) [الإسلام فى عالم البحر المتوسط]- المصدر السابق- ص ١٠٤، ١٠٥.

«فإن الأوربيين ادعوا أن رسول الإسلام كان كاردينالاً كاثوليكياً، تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقاماً من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية - في القرون الوسطى - محمداً المرتد الأكبر عن المسيحية، الذي يتحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية»^(١).

وبشهادة المستشرقة الألمانية دكتورة «سيجيريد هونكة» [١٩١٣ - ١٩٩٩م]:
«فلقد استقر في أذهان السواد الأعظم من الأوربيين الازدراء الأحقق الظالم للعرب، الذي يصممهم جهلاً وعدواناً بأنهم «رعاة الماعز والأغنام، الأجلاف، لابسو الخرق المهلهلة.. وعبدة الشيطان، ومحضرو أرواح الموتى، والسحرة، وأصحاب التعاويذ وأعمال السحر الأسود، والذين حذقوا هذا الفن، واستحوذ عليهم الشيطان، تحرسهم فيالق من زبانيته من الشياطين.. وقد تربع على عرشهم الذهبي «ما هو مد». «مخميد» - وقد ركعت تحت أقدامه قرابين بشرية يذبحها أتباعه قربانا وزلفى إليه!»

«فهم الكفرة الفجرة، الذين لا يدينون بالمسيح أو الله؛ لأنهم لم يعبدوه بعد.. فهم ليسوا سوى ديدان حقيرة.. وسفلة أوغاد.. أعداء الله.. وأعداء المسيح.. مستيبحو قبر المسيح»!..

«وحسب وصف «جى. توينبى» [١٨٨٩-١٩٧٥م]: «فهم غير متحضرين.. وخلق غريب مستبعد من العالم الهللىنى، أو المتطفلين على

(١) [صورة الإسلام في التراث الغربى] ص ٢٣، ٢٤.

الحضارة الهلنسية الإغريقية.. أولئك المحدثون البدائيون.. وأقصى القول فيهم: إنهم تقليد بربرى جاهل زائف لديانة السريان الغربية عنهم، وهم -لبدايتهم وقصورهم- لا يسعون إلى اعتناق النصرانية»^(١).

«ولقد صورت الكنيسة الأوربية رسول الإسلام ساحراً كبيراً.. وصورت «قرطبة» -فى الأندلس- وطن عباد الشيطان، المتوسلين بالموتى، الذين قدوموا لمحمد الصنم الذهبى الذى كانت تحرسه عصبة من الشياطين، تضحية بشرية!! «فبلاد الإسلام هى عالم الخرافات والأساطير، عبدة الشيطان، والسحرة المتضرعين إلى الشيطان.. بلاد الأضاحى البشرية من أجل صنم ذهبى، تسهر على سلامته عصبة من الشياطين، اسمه محمد»^(٢).

«ولقد نظم شاعر الكنيسة القسيس «كونراد» ١٣٠٠م- فى ريجنز بورج- «ملحمة رولاند».. التى وصف فيها المسلمين بأنهم «الشعب الذى لا يروى تعطشه لسفك الدماء، والذى لعنه رب السماء.. فهم كفر وكلاب.. وخنازير فجرة.. وهم عبدة الأصنام التى لا حول لها ولا قوة.. الذين لا يستحقون إلا أن يقتلوا وتطرح رمهم فى الخلاء، فهم إلى جهنم بلا مرء»!

«وفى هذه الملحمة الشعبية يخاطب القس «كونراد» الشعب المسلم، فيقول: «إن مخمت -[محمد]- قد أرسلنى إليك لأطيح رأسك عن كتفك

(١) سيجريد هونكة [الله ليس كذلك] ص ٨، ١١، ٤، ١٩، ٢٣. ترجمة: الدكتور غريب محمد غريب. طبعة القاهرة ١٩٩٥م.

(٢) سيجريد هونكة [العقيدة والمعرفة] ص ١٦١، ١٦٢، ٩٩. ترجمة: عمر لطفى العالم. طبعة دمشق ١٩٨٧م.

وأطرح للجوارح جثتك، وأمتشق برمحي هامتك. ولتعلم أن القيصر قد أمر كل من يأبى أن تعمده الكنيسة «ليس له إلا الموت شنفًا، أو ضربًا، أو حرقًا». إن أولئك جميعًا دون استثناء حزب الشيطان اللؤماء، خسروا الدنيا والآخرة، وحل عليهم غضب الله، فبطش بهم روحًا وجسدًا، وكتب عليهم الخلود في جهنم أبدًا»!!^(١).

أما البابا الذهبي «أوربان الثاني» [١٠٨٨-١٠٩٩م] -الذي أشعل نيران الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين- فهو الذي خطب في فرسان الإقطاع الأوربيين يحثهم على الحرب المقدسة ضد المسلمين، فقال: «أى خزى يجللنا وأى عار، لو أن هذا الجنس من الكفار، الذى لا يليق به إلا كل احتقار، والذى سقط في هاوية التعرى عن كرامة الإنسان، جاعلاً من نفسه عبداً للشيطان، قد قدر له الانتصار على شعب الله المختار»!!^(٢).

نعم... هذه هي صورة الإسلام.. ورسوله ﷺ.. وصورة المسلمين فى تراث أوروبا الكاثوليكية.. والتي نافستها فيه أوروبا البروتستانتية، تلك التى تحدث بلسانها كبيرها «مارتن لوثر» [١٤٨٣-١٥٤٦م] عن القرآن الكريم فقال: «إنه كتاب بغيض وفظيع وملعون، وملء بالأكاذيب والخرافات والفظائع!.. وإن إزعاج محمد، والإضرار بالمسلمين يجب أن تكون المقاصد من وراء ترجمة القرآن وتعرف المسيحيين عليه.. وإن على القساوسة أن يخبطوا أمام الشعب عن فظائع محمد، حتى يزداد المسيحيون عداوة له،

(١) [الله ليس كذلك] ص ٤٤.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٣.

وأيضاً ليقوى إيمانهم بالمسيحية، ولتتضاعف جسارتهم وبسالتهم فى الحرب ضد الأتراك المسلمين، وليضحوا بأموالهم وأنفسهم فى هذه الحروب!!..

أما صورة رسول الله ﷺ الرحمة المهداة.. والنور والبشير للعالمين.. فإنها -عند رأس البروتستانتية- وبألفاظه- صورة «خادم العاهرات وصائد المومسات»!!^(١).

وإذا كان المرء يعجب كل العجب من أن يبلغ «الخيال المظلم والمريض» بالكنيسة الأوربية- بابواتها.. وقساوستها.. وشعرائها.. وعوامها- هذا المستوى الغريب والعجيب والمريب فى الافتراء على الإسلام والمسلمين.. فإن هذا العجب يتزايد عندما يرى هذا التراث من ثقافة الكراهية السوداء، لا يزال باقياً.. وفاعلاً.. دون نقد أو مراجعة.. بل يراه فاعلاً وموجهاً لبابا الفاتيكان -أستاذ الفلسفة- بنديكتوس السادس عشر- فى القرن الواحد والعشرين!!..

ويا ليت الأمر قد وقف عند هذا البابا- ذى التوجهات المحافظة والأصولية- بالمعنى الغربى- وإنما الأدهى والأمر أننا أمام تراث من العداء للإسلام والافتراء على رموزه ومقدساته، يحرك هذه المؤسسة الكبرى التى يتربع على عرشها هذا البابا..

(١) [صورة الإسلام فى التراث الغربى] ص ٢١.

فهذه الكنيسة هى التى هيجت أوروبا، وأعلنت وقادت أولى الحروب العالمية على الإسلام -الحروب الصليبية- التى دامت قرنين من الزمان [٤٨٩-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١م].

● وهى التى زكّت وصمّت صمت الرضا- بل وشاركت بالتنصير- فى الغزوات الأوروبية الحديثة لاستعمار العالم الإسلامى على امتداد القرون الخمسة الممتدة من إسقاط غرناطة والأندلس ١٤٩٢م وحتى هذه اللحظات! ..

● وهى التى أرسلت «كريستوفر كولمبس» [١٤٥١-١٥٠٦م] ليجمع الذهب- بعد إبادة سكان الأمريكتين- لإعداد حملة صليبية جديدة ضد عالم الإسلام، لإعادة اغتصاب القدس وفلسطين!! .. ويومها كتب «كولمبس» إلى البابا «إسكندر السادس» [١٤٩٢-١٥٠٣م] فقال:

«لقد اضطلعت بهذه المهمة- [الرحلات إلى أرض الذهب فى أمريكا]- لننقذ ما سوف نكسبه منها فى رد الديار المقدسة. وبعد أن ذهبت إلى هناك، ورأيت الأرض كتبت إلى الملك «فرديناند» [١٤٧٩-١٥١٦م] والملكة «إيزابيلا» [١٤٧٤-١٥٠٤م]: إنه منذ ذلك اليوم، وعلى مدار سبع سنوات، سوف أحتاج إلى خمسين ألفاً من الجنود المشاة، وخمسة آلاف فارس لفتح الديار المقدسة!!»^(١)

● وهى التى أرسلت «فاسكو دى جاما» [١٤٦٩-١٥٢٤م] ليلتف حول العالم الإسلامى.. تمهيداً لضرب قلب العالم الإسلامى ١٤٩٧م.. رافعا شعار: «التوابل والمسيح!».

(١) انظر كتابنا [فى فقه الصراع على القدس وفلسطين] ص ٢١-٢٥. طبعة القاهرة ٢٠٠٥م.

• وهى التى أرسلت «ماجلان» [١٤٨٠-١٥٢١م] ليحارب المسلمين فى الفيلبين ١٥٢١م.. ولتنصير الفيلبين- التى كانت مسلمة.. واسم عاصمتها «أمان الله»!!

• وهى التى أعلن مطرانها فى باريس -بحضرة الملك الفرنسى «شارل العاشر» [١٨٢٤-١٨٣٠م] عند احتلال الجزائر ١٨٣٠م: «إنه يحمد الله على كون الملة المسيحية انتصرت نصره عظيمة على الملة الإسلامية، ومازالت كذلك»! (١) ..

كما أعلن كرادلتها وقساوستها- وهم يحتفلون ١٩٣٠م بمرور مائة عام على احتلالهم للجزائر:

«إن عهد الهلال فى الجزائر قد غبر، وإن عهد الصليب قد بدأ، وإنه سيستمر إلى الأبد.. وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهذاً لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل!!.. وإن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار»!! (٢).

• وهى التى عهد جنرالها «كليير» [١٧٥٣-١٨٠٠م] -إبان الحملة الفرنسية على مصر- إلى المعلم «يعقوب حنا» [١٧٤٥-١٨٠١م]: «أن يفعل بالمسلمين ما يشاء.. حتى تطاولت النصارى على المسلمين بالسب

(١) رفاعة الطهطاوى [الأعمال الكاملة] ج٢ ص٢١٩. دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة. طبعة بيروت ١٩٧٣م. وطبعة القاهرة -مكتبة الأسرة- سنة ٢٠١٠م.

(٢) انظر كتابنا: [الغرب والإسلام: افتراءات لها تاريخ] ص٣٥، ٣٦. طبعة القاهرة ٢٠٠٦م.

والضرب، ونالوا منهم أغراضهم، وأظهروا حقدهم.. وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين»!!^(١).

● وهى المؤسسة الكنسية التى يقود كرادلتها - فى واقعنا المعاصر - وليس فقط البابا بنديكتوس السادس عشر - حرب التخويف من الإسلام.. فيقول الكاردينال «بول بوبار» - مساعد بابا الفاتيكان يوحنا بولص الثانى.. ومسئول المجلس الفاتيكاني للثقافة:

«إن التحدى الذى يشكله الإسلام يكمن فى أنه دين وثقافة ومجتمع وأسلوب حياة وتصرف، فى حين أن المسيحيين فى أوروبا يميلون إلى تهميش الكنيسة.. إن الإسلام يمثل تحدياً لأوروبا وللغرب عموماً.. وإن المرء لا يحتاج إلى أن يكون خبيراً ضليعاً لكى يلاحظ تفاوتاً متزايداً بين معدلات النمو السكاني فى أنحاء معينة من العالم، وفى البلدان ذات الثقافة المسيحية يتراجع النمو السكاني بشكل تدريجى، بينما يحدث العكس فى البلدان الإسلامية.

وفى مهد المسيح، يتساءل المسيحيون بقلق عما سيحمله لهم الغد، وعما إذا لم يكن موتهم مبرمج بشكل ما»^(٢).

أما الكاردينال «المونسنيور جوزيبى برناردينى» فإنه يقول - فى حضرة البابا يوحنا بولص الثانى:

«إن العالم الإسلامى سبق أن بدأ ييسط سيطرته بفضل دولارات النفط.. وهو يبنى المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين فى الدول المسيحية،

(١) الجبرتى: [عجائب الآثار فى التراجم والأخبار] ج ٥ ص ١٣٦. طبعة القاهرة ١٩٦٥م.

(٢) صحيفة [الشرق الأوسط] فى ١-١٠-١٩٩٩م- وهى تنقل عن [الفيجارو]- الفرنسية.

بما فى ذلك روما عاصمة المسيحية. فكيف لنا ألا نرى فى ذلك برنامجًا للتوسع، وفتحًا جديدًا؟^(١).

إذن.. فنحن لسنا بإزاء عداء فردى لبابا جديد، يمثل تيار «الأصولية الكاثوليكية» أو تراث محاكم التفتيش.. ومواقف الصليبية القديمة من الإسلام والمسلمين.. وإنما مع ذلك، وفوق ذلك- أمام تيار قائد فى مؤسسة كنسية، هى كبرى مؤسسات المسيحية الغربية.. تحمل العداء ذاته للإسلام.. وتروج للتخويف منه، باعتباره يفتح أوروبا فتحًا إسلاميًا جديدًا!!.. ويهدد بتحويل أوروبا إلى جزء من «دار الإسلام» فى هذا القرن الذى نعيش فيه!..

أما عن محاضرة البابا بنديكتوس السادس عشر- التى مثلت أحدث فصول الإساءات للإسلام- ولن تكون آخر هذه الفصول- فلقد تناول الرجل فيها أربع نقاط:

١- الافتراء على رب العالمين وإله المسلمين.. وذلك فى معرض حديثه عن علاقة الإيمان بالعقل.. إذ ادعى أن الإيمان المسيحى عقلانى.. بينما المشيئة الإلهية لإله المسلمين متسامية لا علاقة لها بالعقل ولا بالمنطق!! الأمر الذى يجعل الإيمان الإسلامى بإله المسلمين إيمانًا «وثنيًا أعمى»!!

٢- والافتراء على رسول الإسلام محمد ﷺ وذلك عندما استشهد

(١) صحيفة [الشرق الأوسط] فى ٣٠-١٠-١٩٩٩م.

بعبارة الإمبراطور البيزنطى «مانويل الثانى» [١٣٩١-١٤٢٥م] التى زعم فيها أن محمداً لم يأت إلا بما هو سيئ وشرير ولا إنسانى، ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف!

٣- وخلطه بين الجهاد الإسلامى وبين الحرب المقدسة - التى عرفتها ومارستها النصرانية الغربية لعدة قرون- . . ومن ثم ادعاؤه أن الدين الإسلامى والإيمان به إنما يؤسس لممارسة العنف والإرهاب ضد الآخرين!

٤- والافتراء على القرآن الكريم، ووصف آياته بأنها «تعليمات أوامر اللثام التى أثبتت فى القرآن!!» .

ولما كنا قد سبق وكتبنا الكتب والدراسات فى الرد على جميع هذه الافتراءات والشبهات^(١) . . فإننا - مراعاة للمقام . . وعدم التكرار - سنقدم هنا نقاطاً موجزة تدحض هذه الافتراءات . .

(١) انظر كتبنا: [الإسلام فى عيون غربية] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م. و[الإسلام والآخر] طبعة القاهرة ٢٠٠١م. و[الغرب والإسلام: أين الخطأ وأين الصواب؟] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م. و[فى فقه الصراع على القدس وفلسطين] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م. و[شبهات حول الإسلام] طبعة القاهرة ٢٠٠٢م. و[شبهات حول القرآن الكريم] طبعة القاهرة ٢٠٠٣م. و[الغرب والإسلام: افتراءات لها تاريخ] طبعة القاهرة ٢٠٠٦م. و[الإسلام وتحديات العصر] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م. و[الإسلام والدينية] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م. و[الإسلام والأقليات] طبعة القاهرة ٢٠٠٣م. و[السماحة الإسلامية] طبعة القاهرة ٢٠٠٦م. و[حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م. و[الموقف من البيانات الأخرى] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م. و[الموقف من الخصاصات الأخرى] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م. و[أكذوبة الاضطهاد الدينى فى مصر] طبعة القاهرة ٢٠٠٠م. و[فى المسألة القبطية حقائق وأوهام] طبعة القاهرة ٢٠٠١م. و[فى فقه المواجهة بين الغرب والإسلام] طبعة القاهرة ٢٠٠٣م.